المسرحية الشعرية

أنين الصواري

للشاعر

علي عبدالله خليفة

إعداد مسرحي وإخراج

عبدالرحمن المناعي

1984

(موال ينطلق جريحاً من الرجل المتهالك تحت كرسي النوخذة يستدير الراوي من منتصف المسرح)

الراوي إيـــــه يا بحر ، حكايانا كثيرة

ملهّا الليل .. ومجّتها الظهيرة .

(يعود صوت النهام مدوياً أثناء ذلك ، يدخل الكاتب مسرعاً الى حيث النوخذة يسر له ببعض الكلمات)

الراوي زغردي يا خالتــي يا أم جاسم

زغردي قد عـــــاد طراق المواسم

جهزي الحـــــناء هاتي الياسمين

هاك مـــاء الورد والعود الثمين

(الإضاءة على البقعة الأخرى حيث زوجة البحار.. تداخل صوت النهام)

الزوجة يا حبيبي

سوف ألقاك بتهليلي وأنغام الطبول

سوف يلقاك ابتهالي

وسؤالي

كيف طوفت بأعماق البحار ؟

كيف حال البحر في صمت الليالي ؟

كيف أنتم في عيون الشمس في

ذاك النهار ؟.

(النوخذة والكاتب والبحار على ظهر السفينة في ملابس الغوص البحار يكابد الم شديد في إذنه)

البحـــار لو كان باستطاعتي الغوص لما ترددت ، ولكن أذني ياسيدي

النوخـذة ماذا تريد أن أصنع لك ؟

البحـــار يا سيدي !

النوخذة كفى لسنا في نزهة ، إننا هنا نعمل الكل تقاضى أجره مقدماً وأنا لا أنام على روبيات[1] ... لا بد أن تعمل .

البحـــار ولكنني أشعر بالماء يتسرب إلى راسي .

النوخذة ومـا ذنبي أنا ... الم تتقاضى أجرك؟ ... لابد من كـّي[2] أذنك .

البحـــار يـــــوم آخـــــر واصنع ما تشاء .

النوخذة لا لا .. لقد أمهلتك ما يكفي . لابد أن نكوي صدغك حتى تستطيع الغوص ، أنا لم أدفع لك من أجل أن تأكل وتنام .

البحـــار وأتـألـم ؟

النوخذة لا يهمني ... ذلك غيرك يعمل وشرع البحر هكذا .. سوف يحتجون على وجودك بدون عمل .

البحـــار يـــــــوم آخـــر ... وسوف أغوص بعدها .

النوخذة لا لا .

البحـــار يـــــوم واحد فقط .

النوخذة لا لا قلت لا. هات النار والمسمار .

(يقوم النوخذة بكي البحار تحت أذنه ..صرخة مدوية تمتزج بصوت التهام)

الـراوي قل لهم كيف يكون العيش في دنيا حقيرة

يركب الكل المحال

ينبرون الوحل في قلب الهلاك

باصطبار في اعتلال

يفلقون الصدف الموحل في عـِّز الظهيرة

حسبما شاءت أميرة

في أقاصي الأرض في أغني البلاد

في قصور من ظلال

---

[1] *الروبية عملة هندية كانت تستخدم في دول الخليج.*

[2] **انفجار طبلة إذن الغواصين نتيجة لزيادة عمق البحر تعالج بكي صدغ الغواص.**

تتشهى في دلال

درة حبلى نظيرة

(صوت النهام .... والبحار يمارس عمله)

يا سنين الغوص يا ظلم الرجال

يا أتونا عشت كي تصلي سعيرة

(الزوجة تستعد لاستقبال زوجها العائد)

الزوجة أشهر الغوص تمطت فتبدت

في حساب العمر قرنا وهو غائب

يالفرحي ساعة اللقيّا دنّـــت

كم جميل كل ما حولي حبيب

كل من حولي وقلبي

طفلة مزهوة الأفراح في ليل الموالد

هل ترى كل نساء الحي مثلي ***(على ظهر السفينة البحار نائم)***

البحار الأسماك تتسرب إلى راسي ، إنها تدخل مخي النار تقترب من عقلي ... المسمار يدخل عيوني يخترق جبهتي .

صديقه سعد سعد ***(يستيقظ مفزوعاً)*** دعني أرى ... إن القروح تمتد في كل اتجاه .

البحار والملح الملح ...

صديقه سعد لابد أن تحتمل ذلك من أجل أن تحقق قوت عيالك .

البحار كنت غواص ، ولكن الآن رهين لذلك الدفتر اللعين لا أستطيع منع تسرب الملح إلى عقلي .

صديقه وكنت قديماً ابن نوخذة كبير ... الصبر ..

البحار ولكن القروح تمتد في كل اتجاه ، إنني أموت ألف مرة راسي مجرد قروح وبثور كل ذلك بسبب مسمار الطاغية ***(صـوت النـــهام)***

الراوي كفكف الدمع ولا ترضى بحال

أن تكون إمعة بين الرجال

يابني المـــــوت حق والزوال

نازل بالكل إن شاء الإله

فلئن خانت بحار الصمت ... بحار جسور

ارتمى منه الشراع

فاحتواه الموج في حق مشاع

بعد أن خارت قواه

هذه أحوال دنيانا وحال البحر.

مـــــن قعر الدهـــور

لايني دوماً يثور

يقصف الأعمار .. يقسو ، والنوال

من عطاء الخبر في أرضي وفير

جل ما يصفي لنا للدين ، والباقي زهيد

لا يفي قوت العيال

ياله ديانتا الفظ الصفيق !!!

(ضحكات النوخذة وهو يدخن الكدو[1] وأمامه البحار سعد)

النوخذة هكذا حال البحر يا سعد .. لابد أن تغوص .

الكـاتب عمّي .. أنا أود أنّ ....

النوخذة إن البحر لا يقبل وساطة إذا أردت أن تأكل لابد أن تعمل ، والملح دواء لجروحك .

الكاتب صحيح ولكن .. سعد .

النوخذة سعد .. إنه غواص كبير ، لا تهمه تلك الجروح ، في الموسم القادم سيكون بعافيته .. اذهب الآن أم العيال تستعجل مجيئك .

[1] **غناء فخاري يستخدم للتدخين وهو يشبه عمل الأرجيله.**

الكـاتب ولكن ياعمي .!

النوخذة ***(مشيرا لنار الگدو)*** غير النار بسرعة .

(بيت البحار .. زوجته تواصل إعداد البيت ... ابنها يلهو في الغناء)

الزوجة يالفرحي .. ساعة اللقيا دنت !!

كم جميل كل ما حولي ، حبيب .

كل من حولي ... وقلبي

طفلة مزهوة الأفراح في ليل الموالد

هل ترى كل نساء الحيّ مثلي ؟

فـي اندفاعي ؟

عندهن للهفة الهوجاء في حر التياعي ؟

واشـتياقي لو تعرى

بان مجنون الرغائب ؟

مالذي البس يامرآتي الرعناء ... قولي

نشـلي[1] المزدان بالنجمات والكم الطويل ؟

أم ترى ذلك أنسـب ؟

نشـلي الوردي المقصب ؟

إنه يظهر والتطريز طولي .

(مـــوال - النوخذة في مجلسه)

النوخذة نلقاكم على خير ... عودا غداً .. لنتحاسب .. أما أنت ياسعد فلا بد من تسديد ديونك أذنك كانت عقبة كبيرة هذا الموسـم .

الـراوي يا سنـــين الغوص ، يا ظلم الـرجـــال

يا أتونا عشـت كـــــــي تصلي سعيره

[1] ثوب النشل هو ثوب فضفاض مطرز بخيوط ذهبية.

أيها المحموم فـــــــي ليل السهاد ..

أيهـــا المحروم يـــا أبن السندباد

(البحار يسير ببطء إلى منزله .. تستقبله زوجته وابنه)

يالعملاق طعين الكبريـــــــــاء

بعض إنسان على الشاطئ ملقى كالرفات

عافـــــه البحر .. وأردته قوانين الطغاة

بعد أن عاش سنين العمر مصلوب الحياة

بين فواه تنادي ،

ومنـادٍ : هات من دينك هات

(الكاتب يزور البحار في بيته)

الكاتب هيا يا سعد إن الموسم يقترب لا تدع المرض يتغلب عليك .

البحار ***(بصوت خافت)*** إنه الملح ... الملح .....

الزوجة أرجوك ياسيدي .. لقد بذلت كل مالدي إنه يضيع يوما بعد يوم

الكاتب لقد أوصيت زوجتي أن تعد له دواء وإنشاء الله سيكون به الشفاء ، اذهب يا صغيري إلى خالتك وأجلب الدواء .

الراوي إيه يابحر حكايانا كثيرة

ملها البحر ومجتها الظهيرة

(النهام يردد موال حزين)

النوخذة إن ثلث الإيراد لي والثلث للسفينة ، لقد كان موسم تعيس ، والثلث الباقي قسمة بالعدل . بالعدل على البحارة وانظر كم لنا من ديون ... دفترك أيها الكاتب دفترك .

الراوي ياله ديانا الفظ الصفيق .

كجموع الدود في أمعاء غواص فقير

قرحة شوهاء في جسم صغير

أربعون العمر في الكد انقضت

ورفات الجسم للحيتان في قاع الخليج

والذي باقٍ من الدين كثير .

(تنتقل زوجة البحار إلى مجلس النوخذة)

الكـاتـب زوجة الغواص سعد بالباب .

النـوخذة زوجته دعها تدخل .. أهلاً أهلاً

الزوجــة أنا زوجة خادمك سعد

النـوخذة نعم نعم إنه رجل عظيم خير إنشاء الله .؟

الزوجــة إن موسم الغوص على الأبواب ..

النـوخذة نعم .. نعم ...

الزوجــة زوجي يا سيدي لازال كما هو .

النـوخذة صحيح إنني لم أره منذ القفال[1]

الكـــاتب لقد امتدت البثور والجروح إلى رقبته وجسده .

النـوخذة آه

الزوجــة وأتيت التمس ..

النـوخذة اسمعي هل راءه المطوع[2] ..

الزوجــة نعم راءه .. ولكن المرض يشتد ..إنه عائلي .

النـوخذة مسكين وماذا تريدين الآن ؟

الزوجــة المطوع يريد أن يحضر له دواء

النوخذة سيكون على ما يرام .

الزوجة ولكن المطوع يريد ثمن الدواء

النوخذة ها.. أتيت تريدين نقود

الزوجة روبية واحدة فقط .

---

[1] القفال تعني نهاية موسم الغوص.
[2] رجل الدين ويمارس علاج المرضى بقراءة القرآن.

النوخذة من أجلك أنت فقط .. من أجلك فقط .. أعطها روبية واحدة.

(تتناول الروبية وتهم بالانصراف)

النوخذة أين خاتم زوجك ؟

الزوجة ***(تعود ممسكة بطرف ثوبها حيث ربطت الخاتم)*** هاهو .

النوخذة إذن ... دعها تختم على روبية أخرى . حاولي أن تجعليه يشفى سريعاً ليسدد دينه .

(تنصرف الزوجة على صوت النهام الحزين)

الراوي والذي باق من الدين كثير ...

(الأم تحتضن طفلها بجانب زوجها المريض وابنها الأخر الذي لم يتجاوز العاشرة)

الزوجة مالذي يبكيك ياطفلي الحبيب ؟!

عض ناب الجوع أمعاء طرية ؟

فالتمست الثدي لكن ...

لم تجد فيه بقية

فأسلت الدمعة الحرى العصية

مدركاً كنه القضية ؟

إن ناب الجوع في الدنيا بليه

أم أغاضتك أغاني الزرية

ودعائي وابتهالي ؟

لا .. وحق البحر والأفق الرحيب .

في انفعالات الرجال

وانطلاقات شراع مستجيب

لندا لج خليجي عميق :

كل أثداء الحليب

في صدور الأُمهات

لك ... للجيل الجديد .

(الكاتب يدور على بيوت القرية)

الكاتب جاء موسم الغوص اذهبوا لمجلس النوخذة لتقبضوا السلف[1] . وتجهزوا بيوتكم وأنفسكم للرحلة القادمة .... الجميع يذهب لمجلس النوخذة .

(النهام يداخل صوتـــــــــه الإعياء)

الراوي ودعّ الأهل وخذ بعض الحبال

وإزارات وأشواق إلى بعض المنال

ستجد في النفس إحساساً .. يغالي

جامحاً بالحب للأرض ، وللداعين

من جمع الأهالي

لا تجاري ...

منطق الباكين في توديع غالي

كن كما كانوا أساطين البحار

في خشوع اللحظة السوداء

من يوم الفراق ...

(في مجلس النوخذة البحار وطفله يقفان في خشوع)

النوخذة ها يا سعد أراك في كامل صحتك .. أهلاً أهلاً يا ابن سعد .. هـــا هـــل أنت مستعد؟

البحار إنشاء الله .

النوخذة عين العقل وأرى أن أبنك سيساعد على تسديد دينك

البحار ***(بخوف)*** ابني ؟!

[1] **هو المبلغ الذي يتقاضاه البحار قبل موسم الغوص ويخصم من أجره بنهاية الموسم.**

النوخذة نعم لتأخذه معك يتعلم مهنة الرجال ، وإذا عجزت عن أداء دورك قام بإنجاز بعضها فترتاح من ديونك.

(النهام يردد موالـه الحزين .. الأب ينصرف ممسكاً باينه)

البحار يا صغيري ،

واقع الحال ... كذا كيف الخلاص ؟

لا فكاك ...

لا مناص .

من سـداد الدين في دين جديد

ولكي تأتي بقوت ... كي تعيش

إلزم الإبحار في ركب المغاص

كالمئات ...

من رجال طبعوا النفس الثبات

واسـتهانوا بالحياة ...

بالشـقاء المر في كل الحياة

غربوا بالهم في ليل العذاب

في متاهات العباب

بين فكى مارد يصطاد أعمار الشـباب

كالذباب

في خيوط العنكبوت

يا صغيري ، لا تبالي .

(في بيت البحار)

البحار ماذا أفعل .. لا بد من سـداد الدين .

الزوجة ليأخذ البيت .

البحار وبعد ذلك ماذا نفعل ؟

الزوجة يارب كيف تأخذ طفلي .. وأنت كيف تعود للملح بعد مجد جروحك وبسطها جوعاً وقهراً على جلدك .

البحار لا بد من الغوص .

الزوجة ولكن ذلك ظلم ***(النهام يردد موال حزين)***

الراوي إيـــه يـــا بحـر حكايانا كثيرة

ملهـّـا الليل ومجتهـــا الظهيرة

(صوت النهام - البحار وزوجته وأبنه ينامون على صرخة النهام يصحو الابن مفزوعاً فتصحوا أمه)

الزوجة هل ترى بانت لعينيك الخطوب

في الليالي الماضيات

فأخافتك الندوب

في جسوم الصيد أجدادك أبناء الخليج ؟.

(يعود الطفل للنوم .. بينما الأم تنظر إلى الفراغ)

يا شـراعاً من خيوط الصبر

في صدري العليل

ينتشي الكل كمن تاه عن الدنيا وضاع

يتغنون بالحان الوداع

فيقىء الهم ما في الجوف حتى يستريح

في مواويل الأسـى

وانتكاسات الصراع

في بحار صمتها الداجي يخيف

آه لكن الرغيف

زادنا ، والكل من جوع يصيح ***(كاتب النوخذة ينادي صباحاً)***

الكاتب إلى السفن حان الرحيل .. كل من قبض السلف يبادر بالذهاب إلى الشاطئ حان موعد الإبحار .

النوخذة مستعدون ؟

الكاتب نعم

النوخذة الكل هنا .

الكاتب سعد لم يأتي .

النوخذة أذهب إليه .

(الإضاءة تنتقل إلى بيت البحار)

الراوي شرعة البحر تريد الأقوياء

وأنا جسمي عياء

أنف المجداف عن كفيّ إباء

أبداً ... يابحر مالي من عزاء

(الكاتب والنوخذة أمام بيت البحار سعد ينادونه تفزع زوجته وتبادر في إيقاظه)

الزوجة سعد سعد ***(تناديه يصحوا الابن لكنه لا يرد تصرخ الزوجة ...صوت النهام)***

الراوي زغردي يا خالتي ... يا أم جاسم

زغـردي قد عاد طراق المواسم

جهزي الحناء ، هاتي الياسمين

هاك ماء الورد والعود الثمين

النوخذة لا حول ولا قوة الا بالله .

الكاتب يرحمه الله

النوخذة هيا ... البقاء لله يا أمراءه جّهزي ابنك لابد أن نرحل الآن

الزوجة لا .

النوخذة هيا خذه ***(صوت النهام ... الكاتب وهو ممسك بالطفل)***

الراوي يرحم الله أباك .

كان لي نعم الصديق .

(صراخ الزوجة يختلط بصراخ النهام يختفي النوخذة والطفل والكاتب . صوت النهام يتلاشى الزوجة تسير إلى الأمام وكأنها ترقب إبحار السفينة)

الزوجة كفكف الدمع حبيبي

وامسح الحزن بأفراح كبيرة

أنت في قلبي ، وفي عيني ،

وفي عمري ..آمال خطيرة

أنت زحف النور في هذي الجزيرة

أنت موج كاسح يلقى هديره

يا أسى لحن المواويل الكسيرة

يا مزيج الحقد باللوعة

في عدل الشقاء

يا منى عمري أراك

في الغد الآتي ... أراك

حطباً تقتاته نار الخلاص

وأنا عمري فداه .. وفداك

أجل أن تبقى الضفاف

حالمات في المساء

بغد حلو الضياء ...

يسكب النور ، ويسخو بالعطاء

ولكي يبقى الهواء ...

آه ، كي يبقى الهواء ..

عابقاً بالطيب .. موفور النقاء .

(تختفي الزوجة ... يتجه الراوي إلى حيث الزوج البحار)

الراوي إيـــــه يــا بحـــر ، حكايانا كثيرة

ملها الليل ومجتها الظهيرة .

كدني الغوص ، وما زلت أسيرة

ها هـــــم قد خلفوني ...

كالبقايا ... من نفايات حقيرة.

النهاية